

كل حرف من القرآن ينطق سرا ، فان من المرشح أن تكون هذه اشارة الى سورة « النحل » ، اذ نجد آيات متوالية تدور الماء واللبن والسكر والعسل في سياق واحد عن نعم الله : « والله أنزل من السماء ماء فاحيا به الأرض بعد موتها ان في ذلك لآية لقوم يسمعون » وان لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين » ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا ان ذلك لآية لقوم يعقلون » واوحى ربك الى النحل ان اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون » ثم كلى من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون » (٩٤) . أما قوله عن هلاك القلوب بالمحل فيشير الى الآية الأولى التي تجعل في الماء الحياة ، فيكون انعدامها سببا في هلاك القلوب كما يقول ، ويلاحظ هنا أن الماء أخذ دلالة مخالفة لما في الاسراء النبوي ، اذ يشير هناك الى الفرق .

يفيد ابن عربي هنا من عنصر أساسي في المعراج النبوي ، ولكنه يتداخل معه تخالفيا ، فهو هنا يؤكد قيمة شرب الماء الذي قدم اليه ، ويعطيه دلالات جديدة مخالفة تماما للدلالة المباشرة في الأحاديث التي تربط فيزيقيا بين الماء والغرق : « وأتيت بالخمير واللبن فشربت ميراث تمام اللبن ، وتركت الخمير ، حذرا أن أكشف السر بالسكر ، فيضل من يقفو أثرى ويعمى ، ولو أوتى بالماء بدلها ، لشربت الماء ، فانه خلاصة ميراث التمكين في قوله تعالى « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » (٩٥) . ولعله من الطبيعي أن نستحضر النص الغائب : « جاءني جبريل عليه السلام باناء من خمير واناء من لبن ، فأخترت اللبن . فقال جبريل عليه السلام : اخترت الفطرة » (٩٦) . ولكن هذا النص لا يكفي ، فيتم استحضار الرواية التالية أيضا : « ثم أتى بثلاثة آنية : اناء فيه لبن ، واناء فيه خمير ، واناء فيه ماء ، قال : فقال رسول الله ﷺ : فسمعت قائلا يقول حين عرضت علي : ان أخذ الماء ، غرق وغرقت أمته ، وان أخذ الخمير ، غوى وغوت أمته ، وان أخذ اللبن ، هلك وهكيت أمته . قال : فأخذت اناء اللبن ، فشربت منه ، فقال لي جبريل عليه السلام : هديت وهديت أمتك يا محمد » (٩٧) . ان ابن عربي يقدم لنا اشارة متوهجة ، فهو لا يشرب اللبن بصفته الفيزيقية ، ولا بدلالته على الفطرة ، وانما يشرب شيئا آخر له علاقة صوتية باللبن . ولسنا بحاجة لأن نقرأها قراءة تصحيحية ، فهو هنا يستخدم اشارة مكونة من مضاف ومضاف اليه « تمام اللبن » ليخلق معادلا موضوعيا للرسول محمد ﷺ ، ويوقظ داخل المتلقي حديثا بكامله في كلمتين : « مثلي في النبيين كمثلي رجل بنى دارا فأحسنه »